لغز من الماضي



محمود سالم

لغز من الماضي

تأليف
محمود سالم



لغز من الماضي

محمود سالم

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، وندسور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ١٧٥٣ ٨٣٢٥٢٢ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: أحمد رحمي

الترقيم الدولي: ٩٧٨ ١ ٥٢٧٣ ٢٥٤٣ ٢

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨١.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٢.

المحتويات

كانت قديمة جدًّا	٧
بالقرب من الأسطورة	١١
ساندوتش طعمية ولغز جديد	١٧
المحاولة الثانية	٢٣
مَنْ هناك؟	٢٩
مغامرات في الدهاليز المظلمة	٣٥
رجلان آخران	٤١
لغز السيارة الفورد	٤٧

كانت قديمة جدًّا

كانت العربة الصغيرة التي يجرُّها بائع «الروبابكيا» حافلةً بالكتب، ولاحظت «نوسة» وهي تتنزَّه بدرَّاجتها أن الكتب تسقط من العربة بين فينةٍ وأخرى ... ثم سقطت كميةٌ منها على الأرض دَفْعةً واحدة، مما دفع البائع إلى أن يرفع صوته شاكيًا حظَّه التعِس.

أسرعت «نوسة» بالدراجة حتى وصلت إلى جوار الرجل العجوز، وقالت: سأساعدك.

قال الرجل شاكيًا: إنها صفقة تعِسة ... كتب قديمة ممزَّقة لن يشتريَها أحد ... ولولا كمية الجرائد التي معها ما اشتريتُها.

نوسة: إذن ليست العربة مملوءةً بالكتب؟

العجوز: لا ... إنها ممتلئة بالجرائد والمجلات القديمة ...

ونزلت «نوسة» ... وأخذت تساعد الرجل على إعادة ترتيب المجلات والكتب والجرائد حتى لا تسقط منه مرةً أخرى ... وعلى الأرض شاهدت إحدى المجلات مفتوحةً ... وقد ظهر فيها وجهُ رجلٍ مُخيف ذكَّرها بزعماء العصابات ... فأمسكت بالمجلة وأخذت تُدقِّق النظر فيه ... ولم يَخِبْ ظنها ... فقد كان الخبر المنشور عنه يقول: «وفاة مهرب خطير في معركة بالرصاص ...»

ونظرت «نوسة» إلى غِلاف المجلة، ووجدت أنها مجلة اللطائف المصورة، وتاريخها يعود إلى عام ١٩٣٠؛ أي مُنذ خمسين عامًا ... ووجدت قصة المُهرِّب منشورةً على صفحتين من المجلة، وبها عدد من الصور له في مراحلَ مختلفة من عمره، ومنها صورة له بجوار سيارة من طراز «فورد». وتمنَّت «نوسة» أن تقرأ قصة الرجل كاملة، فقالت للبائع: إنني أريد شراء هذه المجلة.

ردَّ البائع: خُذيها مجانًا ... إنها لا تساوي شيئًا.

نوسة: لماذا؟ ... لقد دفعتَ فيها ...

قاطعها البائع: ماذا دفعتُ فيها؟ ... ربما ملِّيمًا أو أقل!

نوسة: فلنقُلْ إنها تساوي عندي خمسة قروش.

وأعطته القروش الخمسة، ثم أمسكتْ بالمجلة سعيدة، وانطلقت إلى أقرب مقعد على الكورنيش، وجلست تقرأ بشغف شديد في أحداث جرَتْ قبل مولدها بنحو سبعة وثلاثين عامًا كاملة ... وكانت قصة المُهرِّب من أظرف ما قرأتْ في المجلة.

كتبت المجلة:

«وفاة مُهرِّب كبير»

«أسرار عصابة التهريب الكبرى تموت مع الزعيم»

تُوفيَ أمس المهرِّب الإيطالي العالمي «ألبرتو تريجنزا» في أحد قصوره في جزيرة صقلية، وهي الموطن الأصلي لعصابة المافيا العالمية، وقد طُويت بذلك صفحة من أسود صفحات تاريخ الإجرام العالمي، وأشدِّها غموضًا وإثارة. ومما يُذكر أن «تريجنزا» كان قد حاول القيام بتهريب كميةٍ كبيرة من الهورايين إلى مصر داخل سيارة، ولكن رجال الشرطة استطاعوا إحباط المحاولة بعد أن وصلت السيارة إلى ضاحية حلوان داخل حديقة قصر كان يملكه أحد الأثرياء المصريين ... وقد تردَّد أن الثري المصري على عَلاقة بهذا المُهرِّب الكبير، ولكن التحريات لم تُثبِت ذلك ... ومن المدهش أن الشرطة لم تعثر على أثر للهورايين!

وظلت «نوسة» تقرأ حتى فاجأتها مجموعة المغامرين الخمسة، وقد أقبلوا في مرح على درَّاجاتهم ... وصاح «محب»: القارئة العظيمة!

قالت «نوسة»: إنها قصة مثيرة لموت مُهرِّب!

محب: ولكنها مجلة قديمة!

عاطف: ليس في الموت قديم وحديث ... كله موت!

نوسة: نعم ... إنها مجلة قديمة اشتريتُها من بائع «روبابكيا» فقد لفتت نظري هذه القصة بتفاصيلها العجيبة، فأحببت أن أقرأها.

أمسك «تختخ» بالمجلة، ولم يكد يقرأ الاسم والعنوان حتى أخذ يهرش رأسه في تأمل، ثم قال: «ألبرتو تريجنزا» ... إن هذا الاسم ليس غريبًا عليَّ ... أعتقد أني سمعت به، أو قرأته قريبًا!

وصمت «تختخ» وهو مستمر في هرش رأسه لحظات ثم قال: تذكرتُ الآن ... نعم تذكرت ... إن ورثة «تريجنزا» رفعوا قضية على الحكومة المصرية يطالبون فيها باسترداد

أملاكه في مصر ... فقد كان للمُهرِّب الكبير ممتلكات في أماكن متعددة من مصر ... بينها قطع من الأراضي وباخرة قديمة ... وأذكر أنهم طالبوا بالسيارة «الفورد» التي ذُكرت في هذا الموضوع.

نوسة: سيارة «فورد» طراز عام ١٩٣٠ يطالبون بها ... يا له من شيء مضحك!

تختخ: على العكس ... إنَّ السيارات القديمة لها سوق رائجة جدًّا في الخارج الآن ... وبعض السيارات من طراز سنة ١٩٣٠ وما قبلها تساوي عشرات الألوف من الجنيهات.

عاطف: ما رأيكم في تكوين شركة لشراء السيارات القديمة الخردة وبيعها لأغنياء أوروبا؟

ضحك المغامرون عدا «تختخ» الذي قال مُعلِّقًا: صدِّقْني يا «عاطف»، إنها فكرة ممتازة ... وكل ما ينقصنا هو بضع عشرات من الألوف، بها يمكن تكوينُ ثروة ضخمة!

عاطف: بسيطة ... معي خمسة وثلاثون قرشًا فماذا يبقى لتكوين رأس المال؟!

نوسة: أليست مصادفة مدهشة أن أقرأ هذه المجلة القديمة عن «ألبرتو تريجنزا» ثم تتذكَّر أنت أن أسرته قد رفعت قضية تُطالب فيها بممتلكاته في مصر؟

لم تكن «لوزة» قد نطقت بكلمة واحدة طَوال هذه المناقشة الطريفة، فقالت فجأة: هذه المصادفة تعني أنَّ هناك لغزًا في انتظارنا!

التفت المغامرون إلى «لوزة» وقد بدَت عليهم الدهشة، وقالت «نوسة»: ماذا جرى يا «لوزة»؟ ... أين اللغز في هذا الموضوع؟!

لوزة: الهورايين ... إن الشرطة لم تَعثر على الهورايين ... فأين ذهب؟

لم يستطع المغامرون حتى الضحك ... فالمسألة كانت أكثر من نكتة ... فاللغز عمره نحو خمسين عامًا ... وكان الوحيد الذي نطق هو «عاطف» قائلًا: إننا سنبحث عن الألغاز الأثرية مثل البحث عن الآثار ... سوف نُسمِّي أنفسَنا جمعية البحث عن الألغاز الفِرْعَونية!

وخفَّ التوتر قليلًا، واحمرَّ وجه «لوزة» وهي تقول: البحث عن الماضي أفضل على كل حال من الجلوس في الشمس دون أي عمل ... ومن يدري؟ قد نجد لغزًا عجيبًا، فليس معنى مرور الوقت أن تتلاشى الحقائق ...

كانت «لوزة» تتحدَّث وهي مندفعة وثائرة، وأراد «تختخ» أن يخفِّف من غضبها فقال: لا بأس يا «لوزة» ... معكِ حق ... فهناك ألغاز كثيرة ماتت بموت أصحابها ... وتلاشت في طيَّات الزمن ... ولكن ماذا نفعل نحن أمام لغزٍ عمره خمسون عامًا؟

لوزة: المسألة بسيطة ... إن القصر الذي كان يملكه «تريجنزا» ما زال موجودًا في حلوان ... وحلوان على بُعد كيلومترات قليلة من المعادي، فلماذا لا نذهب ونرى؟

ساد الصمت لحظات ثم قال محب: إنني مشغول الآن؛ فسوف يأتينا ضيوف بعد قليل … وسأعود مع «نوسة» إلى البيت.

قال «تختخ» وهو ينظر إلى «لوزة» بحنان: سأذهب معكِ أيتها المغامِرة الصغيرة … حتى ولو إلى نهاية العالم.

بالقرب من الأسطورة

انطلق المغامرون الثلاثة على درَّاجاتهم في الطريق إلى حلوان، وقد بدأت الشمس تميل في الأفق في اتجاه الغرب. كان الجو مُنعشًا في ذلك اليوم من فبراير، بداية إجازة نصف السنة ... فهناك برد معقول في الجو يدفع الإنسان إلى الجري واللعب ... وهناك ريح هادئة باردة ولكنها ليست قاسية.

كان في الطريق بضعةُ إصلاحاتٍ؛ مما أخَّرهم بعض الوقت، ولكنهم في النهاية أشرفوا على ركن حلوان، ثم انحرفوا يسارًا في الطريق الواسع ... وعندما وصلوا إلى منتصف المدينة بدءوا السؤال عن قَصْر الإيطالي «تريجنزا»، وكانت مفاجأة لهم أن أكثر الناس لم يكونوا يعلمون عنه شيئًا محددًا ... وبعضهم أجاب أنه يسمع عنه، ولكن دون أن يعرف مكانه.

أخذت حماسة المغامرين الثلاثة تتضاءل تدريجيًّا أمام هذه المعلومات المتضاربة ... وكانوا قد تجاوزوا وسط المدينة إلى مشارف الصحراء عندما قابلوا رجلًا عجوزًا يسير على عُكَّاز وبرغم ذلك يسير بنشاط ... قالت لوزة: مثل هذا الرجل قد يكون عنده معلومات عن قصر «تريجنزا» ... تعالَ نسأله!

اتَّجه إليه «عاطف» على الفور قائلًا: من فضلك يا عم!

التفت العجوز مبتسمًا إلى «عاطف» الذي مضى يقول: هل تسمع عن قصر الإيطالي الذي هنا؟

ردَّ الرجل ببديهة حاضرة: نعم ... طبعًا ... لقد اشتغلت فيه وأنا صغير.

انتعشت آمال المغامرين بعد يأس، ومضى «عاطف» يسأل: وأين هو هذا القصر يا عم؟

الرجل: لقد كاد يختفي تحت تلال الرمال!

لوزة: يختفي؟!

الرجل: نعم ... لقد أهملوه حتى يكاد يختفي تحت الرمال الزاحفة من الصحراء ... لقد مضى على بنائه أكثر من ستين عامًا.

لوزة: ولكن أين هو على كل حال؟

الرجل: إنني في طريقي إلى مسكني، وسأمُرُّ بجواره، إذا شئتم فتعالَوْا معي.

وافق المغامرون بحماس ... ونزلوا من على درَّاجاتهم، وساروا بجوار الرجل ولم يُضَيِّعْ «تختخ» وقتًا فبدأ الأسئلة على الفور قائلًا للرجل: هل كنت موجودًا أيام بناء هذا القصر؟

الرجل: نعم ... حضرته وأنا في الخامسة عشرة من عمري ... بل إنني اشتركت في بنائه.

تختخ: هذا شيء مدهش!

الرجل: لقد كان المهندسون الإيطاليون يستخدمون العمَّال المصريين في الأعمال الشَّاقة ... بل إنهم كانوا يُخفون عنَّا بعض تفاصيل المباني!

تختخ: لماذا؟

الرجل: لا أدري ... في ذلك الوقت لم يكن أحد يستطيع أن يسأل عن أي شيء ... كان علينا أن نحمل الطوب والأسمنت فقط ... وبقية العمل كان يقوم به الإيطاليون.

تختخ: وماذا كنت تعمل بالضبط؟

الرجل: كنت أقوم مع أبي بعمل الشاي والطعام للعمال ... ولما انتهى بناء القصر كان صاحب القصر قد أُعجب بي، فطلب منِّي الاستمرار في العمل ... فاشتغلت في مطبخ القصر.

تختخ: وهل تعرَّفت بسكان القصر؟

الرجل: نعم ... تعَّرفت ببعض الخدم وكلهم من الإيطاليين ... ثم ببعض الذين كانوا يَحضرون على فترات لزيارة القصر ... خاصةً في الشتاء.

تختخ: وهل كنت تعلم مَنْ هو صاحب القصر؟

الرجل: كنت أسمع عنه فقط ... وفي مرة واحدة شاهدته في أثناء زيارته لحلوان ... كان رجلًا ضخمًا مُخيفَ الشكل ... وكان الجميع يرهبونه ... ولم يكن يسير إلَّا ومعه حرس من الرجال الأَشِدَّاء!

تختخ: لماذا؟

الرجل: لا أدري ... لكن من الواضح أنه كان يخشى شيئًا ...

تختخ: لقد مات «تريجنزا»!

الرجل: نعم … مات منذ زمن بعيد … وقد وضعت الحكومة قصره تحت الحراسة بعد أن ثبَتَ أنه كان يُهرِّب المواد المخدِّرة إلى مصر …

تختخ: فعلًا … وماذا حدث بعد وضع القصر تحت الحراسة؟

الرجل: بقِيتُ أعمل فيه، ولكن كحارس مع أحد رجال الشرطة … كُنا نحرس القصر والسيارة.

تختخ: أي سيارة؟

الرجل: السيارة التي قيل إنه هرَّب فيها الهورايين.

انتبه المغامرون إلى هذه المعلومات الجديدة … فهذا يعني أن السيارة لا تزال موجودة.

عاد «تختخ» يسأل: وهل عثروا على الهورايين؟

الرجل: أبدًا … ويبدو أنه خبَّأه في مكانٍ آخر غير السيارة … ولم يعرف أحد هذا المكان حتى الآن!

تختخ: يا لها من قصة!

الرجل: نعم … قصة غامضة … فالقصر قد تهدَّم … والسيارة قد غاصت عجلاتها في الرمال وأصبحت قديمة.

تختخ: ومن الذي يحرس القصر الآن؟

الرجل: خفير من أصدقائي بعد أن أُحِلتُ إلى المعاش.

وصمت الرجل لحظاتٍ ثم قال: ولكن لماذا أنتم مُهتمُّون بهذا القصر؟

تختخ: إننا من هواة المغامرة، وقد عثرتْ صديقة لي على مجلة قديمة بها معلومات عن «تريجنزا» هذا … وعرفت أنه كان يملك قصرًا في حلوان … وقد بدأت الإجازة، ولم يكن عندنا شيء نفعله فقرَّرنا أن نزور القصر!

ساد الصمت، وهبط ظلام فبراير المبكر، وابتعدوا عن العمران، وبدأت «لوزة» تشعر بالبرد … وكادت تقول لـ «تختخ» أن يعودوا إلى منازلهم على أن يزوروا القصر في الصباح … ولكن قبل أن تنطق قال الرجل مُشيرًا إلى ضوء خافت بعيد هذا هو قصر الإيطالي … أو ما بقيَ منه.

توقَّف المغامرون لحظات … وبدا لهم القصر من بعيد في شفق الشمس الأخير كأنه وحش خُرافي تخلَّف من عهود الديناصورات … يربض من بعيد وكأنه يستعدُّ للانقضاض على فريسته …

ساد الصمت بين الجميع لحظات، ثم قال الرجل: اسمحوا لي أن أُغادركم؛ فزوجتي العجوز في انتظاري ولا أحد معها.

قال «تختخ»: أشكرك كثيرًا يا عم ... ولكن أين تسكن بالضبط؟ ... فقد نحتاج إلى أن نراك مرةً أخرى.

ردَّ الرجل وهو يُشير بإصبعه: هل ترى هذه الهضبة العالية؟ وهذا العمود من الخرسانة المسلَّحة على اليمين ... إن منزلي الصغير بجوار هذا العمود ... وأنا في خدمتكم.

وَدَّع المغامرون الرجل ثم وقفوا صامتين لحظات ... كانوا جميعًا يفكِّرون في نفس الفكرة ... هل يذهبون الآن للفرجة على القصر ... أو يعودون في الصباح؟

وفجأة خُيِّل إلى «لوزة» أنها ترى ضوءًا داخل القصر ... نعم ... لقد رأت ضوءًا يمرُّ داخل القصر سريعًا ثم يختفي، وصاحت: هل شاهدتما ما شهِدتُ؟

والتفت إليها «تختخ» و«عاطف» وعادت تقول: إن الرجل قال إن القصر مهجور ولا يعيش فيه مخلوق ... ولكني رأيت ضوءًا الآن!

عاطف: أنا لم أرَ شيئًا.

وكذلك قال «تختخ» فقالت «لوزة» بإصرار: أؤكِّد لكما أني رأيت الضوء منذ لحظات ... مثل البرق!

عاطف: لعلَّه الحارس!

لوزة: إن الرجل قال إن الحارس يعيش في كوخ بجوار القصر، وإن القصر لا يدخله أحد!

عاطف: دَعْكِ من هذه الخيالات يا «لوزة» ... المهم الآن، هل نذهب لزيارة القصر ... أوْ نؤجِّل الزيارة إلى الغد؟

قالت «لوزة» بدون تفكير: نذهب الآن!

وحسمت هذه الجملة تردُّدهم ... واتجهوا نحو القصر وكأنَّ قوة مجهولة تشدُّهم إليه ...

أخذوا يقتربون منه، وكُلَّما اقتربوا ازداد الظلام، وازدادت وعورة الأرض، وأحسُّوا أنهم اتخذوا قرارًا خاطئًا ومُتسرِّعًا ... ولكن العودة أصبحت مستحيلة، فقد تدفَّقت رُوح المغامرة في عروقهم، ولم يَعُدْ من الممكن إيقافهم ...

مضت نحو نصف ساعة ... وبدا لهم أن القصر الأسطوري يبتعد عنهم كلَّما اقتربوا منه ... وتعِبوا من كثرة المطبَّات ... ولكن في النهاية أشرفوا على القصر الرهيب ... وتوقَّفوا

لحظات ... لم يكن هناك أثر للحياة فيه أو حوله ... وكانت حديقته الواسعة مهمَلةً كأنها غابة قديمة لم يبقَ منها سوى بعض الأشجار الضخمة، وارتفعت فيها الأعشاب إلى أكثر من متر ...

كان القصر مبنيًّا على الطراز الإيطالي ذي الأعمدة الرخامية الضخمة والمحنيات العالية المُزيَّنة بالنقوش ... وكان مكوَّنًا من ثلاثة أدوار، غاص نصف الدور الأول في الأرض ... ولم يشاهدوا تفاصيلَ أخرى؛ لشدة الظلام ... وقال عاطف: هل سندخل؟

كان هذا السؤال هو نفسه الذي تردَّد في ذهن كلٍّ من «تختخ» و«لوزة» ... ولكن هل كان من الممكن أن يتراجعوا بعد هذا المشوار الطويل والتعب المرهق؟

وفي الوقت نفسه هل من الممكن الدخول إلى هذا المكان المجهول المظلم؟ وما هي الأخطار التي من الممكن أن يتعرَّضوا لها في داخل هذا القصر المخيف الرابض في الظلام؟

ساندوتش طعمية ولغز جديد

أمام تردُّد المغامرين ... أخذت الطبيعة قرار دخولهم القصر ... فقد هبَّت الريح فجأةً ... وتبِعها سيلٌ من المطر الغزير أخذ يهطل فوق رءوسهم ... ولم يكن أمامهم من مأوًى إلَّا القصر ... وهكذا قفز الثلاثة السور الحجري القديم، وأسرعوا يجرون ناحية القصر، وقد تركوا درَّاجاتهم ... جروا وسط الحشائش العالية والمطر يُطاردهم حتى وصلوا إلى القصر ... صعدوا السلالم الرخامية العالية، ووجدوا أنفسهم في بَهْوٍ ضخمٍ غارق في الظلام، تقف الأعمدة الرخامية البيضاء كأنها حُرَّاس أَشِدَّاء لهذا القصر القديم الغامض.

كانت الدماء تندفع في عروقهم تحت تأثير الجري والإثارة ... فنسوا موقفهم المعقد، وأخرج «تختخ» مصباحه الكهربائي الصغير الذي لا يفارقه، وأطلق خيطًا رفيعًا من الضوء، أخذ يتجوَّل به في أنحاء البهو الضخم، ولاحظ أن الباب الكبير قد تآكلت أخشابه، وتكسَّرت بعض أجزائه، فأشار إليهما قائلًا: من الممكن الدخول.

قالت لوزة: أنت لا تستطيع، ولكني أستطيع.

قال عاطف: ولكن أين الحارس؟

تختخ: مَنْ يدري؟ لعله فَضَّلَ البقاء في منزله في هذا الجو البارد، أو لعله في الكوخ الخاص به.

عاطف: إننا لم نشاهد أي ضوء!

لوزة: قلت لكما إنني شاهدت ضوءًا من بعيد!

عاطف: ولكنك قلتِ إنه داخل القصر.

تختخ: قد يكون الحارس داخل القصر.

عاطف: لو كان موجودًا لأحسَّ بوجودنا.

تختخ: لا أظن ذلك، فصوت الريح والمطر ...

وقبل أن يُكمل «تختخ» جملته سكت فجأةً ... فقد خُيِّل إليه أنه يسمع صوتًا ما يختلف عن صوت الريح والمطر.

وأنصت الجميع ... فقد سمعوا الصوت نفسه ... كأنَّ شيئًا سقط في مكان ما من القصر ... وقالت «لوزة»: سأدخل من هذه الفتحة المكسورة في الباب!

تختخ: لا داعي لهذه المغامرة الآن ... ونأتي في الصباح.

عاطف: سأدخل أنا ... أعطني مصباحَك الصغير.

وتناول «عاطف» المصباح، ثم برشاقة نفذ من فتحة الباب المكسور بمساعدة «تختخ» و«لوزة».

نَفَذ «عاطف» إلى الجانب الآخر من الباب ... وجد نفسه في ظلام أشد ... فأخذ يُرسل خيط الضوء الرفيع في المكان ... كانت صالة القصر واسعة ... تملؤها الأعمدة الرخامية مثل المدخل تمامًا ... وقد فُرشت بأثاث من الطراز النادر قد ملأه التراب ... وتمزَّقت المقاعد في أماكنَ مختلفة ... ووقفت بعض التماثيل الرائعة من البرونز، وكأنها شخصيات مسرحية ثُبِّتت في مكانها منذ عشرات السنين.

انحنى «عاطف» على فتحة الباب، وتحدَّث إلى «تختخ» و«لوزة» قائلًا: لا أحد هنا.

تختخ: حاوِلْ أن تفتح الباب.

دار «عاطف» حول نفسه، وأرسل ضوء المصباح إلى مزلاج الباب، ثم مدَّ يده فأدار المزلاج، ولدهشته الشديدة انفتح الباب ببساطة ... ولكن المفاجأة أن المفصَّلات القديمة أطلقت صوتًا عاليًا أشبه بصياح شخصٍ يتعذَّب ... وتوقَّف «عاطف» لحظات، ولكن «تختخ» و«لوزة» دفعا الباب ودخلا، ثم أغلقاه خلفهما وهو يُطلق نفس الصياح ... وأحسَّت «لوزة» برعشة قوية تشمل بدنها كله ... وساد الصمت إلا من صوت الرياح والمطر.

توقَّف الثلاثة في مكانهم ... وأخذ «عاطف» يُدير المصباح في مختلف أرجاء المكان ... كانت هناك ستة أبواب جانبية ... وباب كبير في الوسط ... وعلى مدخل كل باب على الجانبين يقف تمثال البرونز على قاعدة مستديرة ... وكانت الأتربة واضحة الأثر على كل شيء ... ومن الواضح أن يدًا لم تمتدَّ لتنظِّف المكان منذ عشرات السنين.

وفجأة دوَّى في الصمت صوتُ أقدام ... نعم كانت صوت أقدام خفيفة ولكن واضحة ... وأصاخ الثلاثة السمع لصوت الأقدام ... كانت تأتي من الدور الثاني فوق رءوسهم ... وتوقَّفوا كالتماثيل في أماكنهم ... لِمَن هذه الأقدام؟ هل هو حارس المكان؟! إذا كان الحارس فلماذا يمشي بكل هذا الحذر؟!

أطفأ «عاطف» المصباح الصغير، ووقفوا في أماكنهم ثابتين ... ولكن شيئًا في حركة الأقدام اضطرهم إلى الحركة ... كانت الأقدام تتجه نازلةً إلى السُّلَّم الرخامي الكبير في الصالة ... وقال «تختخ» هامسًا: يجب أن نتحرك فورًا ... اتجهوا إلى أول باب إلى اليمين.

أطلق «عاطف» شعاع الضوء الرفيع، ناحية الباب الذي تحدَّث عنه «تختخ» وساروا على أطراف أصابعهم إلى الباب القديم ... ووضع «تختخ» يده على الباب، ودفعه بهدوء ... ولحسن الحظ لم يُصدر أي صوت، ودخلوا جميعًا إلى الغرفة، وأغلقوا الباب.

مرة أخرى قام «عاطف» بمسح المكان بواسطة الضوء، وشاهدوا نافذة كبيرة تُطِلُّ على الحديقة، كان من الممكن النفاذُ منها إلى الخارج.

وأسرع «تختخ» إليها، وأخذ يدفع الشُّرَّاعة ببطء ... كان يجب أن يكونوا مستعدِّين للفرار ... إذا فكَّر صاحب الأقدام الخافتة في دخول الغرفة ...

همس «تختخ»: سنقف خلف الباب.

ووقفوا جميعًا خلف الباب، وقد كتموا أنفاسهم، وهم يستمعون إلى صوت الأقدام تتجوَّل في الصالة الواسعة ... ثم سمِعوها تتوقف عند نقطة معينة ... وساد الصمت لحظات، ثم سمعوا صوت شيء يُشبه فتح باب ... أو شيء يدور على محاور ... ثم ساد الصمت لحظات ... وسمِعوا صوت الأقدام تتجه إلى ناحيتهم ... وأُصيبوا برعدة ... ولكن الأقدام لم تتجه إلى حيث يقفون ... لقد اتجهت إلى الباب المجاور ... وسمعوا صوت الباب وهو يُفتَح ثم يُغلَق ... وساد الصمت بعد ذلك ... ثم سمِعوا في الغرفة المجاورة صوت الأقدام تتقدَّم من مكان في الغرفة، وسمِعوا صوتَ شيءٍ يتحرك ... ثم يُغلق، وساد الصمت تمامًا.

قال «عاطف» هامسًا: هناك أشياء غامضة تحدث في هذا القصر ... هذه ليست تصرفات حارس!

تختخ: أظن ذلك ... ولكن علينا أن نُغادر المكان الآن.

لوزة: لماذا؟ ... هيًّا نحاول معرفة ما يدور في الغرفة المجاورة!

عاطف: دَعْكِ من هذا الاندفاع يا «لوزة» ... نحن في موقف حَرِج!

تختخ: الأفضل الآن أن نخرج من النافذة ... إن الوقت متأخر، وأمامنا طريق طويل إلى المعادي.

فتحوا النافذة ... وخرجت «لوزة» ثم «تختخ» ثم «عاطف» ... وأعاد «تختخ» إغلاق النافذة بهدوء ... ثم أخذوا يجرون في الساحة الواسعة حتى السور وتسلَّقوه، ثم ذهبوا إلى

دراجاتهم ... كان المطر قد بدأ يقل تدريجيًّا ومالت الريح إلى السكون ... وبرقت أضواء النجوم البعيدة تُبدِّد بعض كثافة الظلام.

كانت رحلتهم شاقة حتى مشارف مدينة حلوان ... الأرض الوعرة، وقد زادها المطر وعورةً ... والمرتفعات والمنخفضات ... حتى إذا أشرفوا على حلوان ... كانت أجسامهم تضِجُّ بالألم ... ولكن لم يكن هناك وقت للراحة، فقد انطلقوا مُسرعين.

في أحد الشوارع الضيقة بمدينة حلوان، شاهد «تختخ» مطعمًا صغيرًا يبيع الفول والطعمية الساخنة ... كانت أبخرة الطعمية تتصاعد في الجو، وتصل إلى أنفه، وأحسَّ أنها أشهى رائحةٍ شمَّها في حياته ... وأحسَّ بمعدته تتقلَّص من الجوع ... وقال وهو يلتفت ناحية «عاطف»: ما رأيك في ساندوتش طعمية ساخنة؟ ... إنني أكاد أسقط من الجوع!

قال «عاطف» ضاحكًا: إن معدتك تبحث عن الطعام ... كما تبحث «لوزة» عن مغامرة!

وسمِعت «لوزة» الحوار ... كانت تحب «تختخ» جدًّا وتعرف أنه لا يستطيع الصبر على الجوع؛ فصاحت: هيَّا نأخذ ساندوتشات طعمية!

وتوقَّف الجميع عند بائع الطعمية ... واشتدَّت الرائحة، وأحسَّ «تختخ» بلعابه يسيل، ودخل في زحام الواقفين، ورفع يده إلى الرجل بالنقود وهو يصيح: ثلاثة ساندوتشات من فضلك!

كان الواقفون يتحدَّثون عن برودة الجو ... وعن أشياء كثيرة متناقضة ولكنَّ حديثًا معينًا لفت انتباهه ... كان شخص يقول للآخر: ألم ترَ «منصور» مؤخرًا؟

ردَّ الآخر: لقد ذهبت إليه في القصر الإيطالي حيث يعمل، وناديت عليه مرارًا ولكنه لم يرد!

الأول: شيء مدهش أن يترك عمله بهذه الصورة!

الثاني: المدهش أكثر أنه ذهب إلى بلدته، واشترى قطعة أرض ... من أين له المال؟

الأول: لعله باع بعض ما في القصر من تحف!

الثاني: مستحيل ... فقد كانت هناك لجنة لجرد القصر منذ حوالي أسبوعين بعد أن رفع ورثته قضية يطالبون فيها بالقصر ... وهو يعلم أن اللجنة قد تعود في أي وقت!

الأول: إنه لغز!

الثاني: سوف أسافر لمقابلته، فهو مَدِين لي بمبلغ من المال، وما دام قد اشترى أرضًا فهذا يعني أنه حصل على نقود كثيرة ... وعليه أن يُسدِّد دَينه.

انسحب «تختخ» يحمل الساندوتشات الساخنة، ووزَّع على «عاطف» و«لوزة» نصيبهما، وأخذ يقضم من الساندوتش السَّاخن وهو سعيد، وفي الوقت نفسه كان يفكِّر في

كل ما سمِع، وقال لصديقته من خلال فمه الممتلئ بالطعام: لقد جئنا للبحث عن لغز ... ولكننا عدنا ومعنا لغزان.

لوزة: لغز آخر؟

تختخ: نعم ... وله عَلاقة باللغز الأول!

المحاولة الثانية

ظلَّ الجو مطيرًا في اليوم التالي عندما اجتمع المغامرون الخمسة في الكشك الخشبي في حديقة منزل «عاطف» ... وقام «تختخ» بشرح كل الخطوات التي اتخذوها، والمعلومات التي توصَّلوا لها ... خاصةً الجزء الخاص بحارس القصر ... والمعلومات التي سمِعها في أثناء شراء ساندوتشات الطعمية.

بالنسبة لـ «نوسة» و«محب» كانت الحكاية مثيرة جدًّا؛ لأنهما لم يشتركا في عملية دخول القصر ... وقال «محب»: إنني حزين لأنني لم أشترك في هذه المغامرة الليلية.

عاطف: لا تندم على ما فات ... فلا تزال المغامرة في أوَّلها ... وكل ما حدث لا يقدم لنا حلًّا لما نواجهه من غموض ... سواء فيما حدث في القصر ... أو فيما يتعلَّق بهذا الحارس الذي اختفى فجأة.

نوسة: وما هي الخُطوة القادمة؟

تختخ: أتصوَّر أننا يجب أن ننقسم إلى فريقين ... فريق يحاول مقابلة الحارس والحصول على أكبر قدر من المعلومات عنه ... ومنه ... وفريق يحاول دخول القصر مرة أخرى ... إنني أفكِّر في الأصوات التي سمعناها عندما كنَّا في الغرفة.

عاطف: صوت الصَّرير في الصالة؟

تختخ: نعم ... ثم دخول الشخص المجهول إلى الغرفة المجاورة، والشيء الذي فتحه، ثم الصمت بعد ذلك!

لوزة: وماذا تتصوَّر يا «تختخ»؟

تختخ: إن في ذهني فكرة معينة ... أن أبحث في الصالة أولًا عن الشيء الذي دار، ثم دخول الغرفة التي دخلها الشخص المجهول ... إنَّ أحداثًا غريبة تحدث في هذا القصر!

عاطف: لعلك تذكر حديث الرجل العجوز الذي اشترك في بناء القصر ... لقد قال لنا إنهم لم يكونوا يسمحون للمصريين بدخول القصر في أثناء البناء، ويبدو أن هناك أماكنَ خفيَّة في القصر لم يرها أحد من المصريين ... ولعل الشخص المجهول كان يحاول أمس دخول أحد هذه الأمكنة.

تختخ: إنه لم يحاول، لقد دخل فعلًا ... وهناك ارتباط أكيد بين الأصوات التي سِمعناها في الصالة ... والأصوات التي سمِعناها في الغرفة المجاورة.

نوسة: هذا كله له عَلاقةٌ بأماكن سريَّة في القصر لا يعرفها أحد.

محب: هذا يقودنا إلى استنتاج مُحدَّد ... هو أن الشخص المجهول الذي في القصر يعرف هذه الأماكن السرية ... وما دام الحارس لم يكن موجودًا أمس في القصر ... فهذا يعني أنه شخص آخر ... فمَن هو؟

تختخ: ليست هناك إجابات عن كل هذه الأسئلة الآن ... وعلينا أن نبحث عنها إذا كنا سنمضي في البحث عن حلٍّ لهذا اللغز.

لوزة: أعتقد أن علينا العودة إلى القصر ... إن البحث عن الحارس «منصور» سيقتضي وقتًا طويلًا ... وإذا عثرنا عليه فلن يقول لنا من أين حصل على هذا المال الذي يُنفقه.

نوسة: ولماذا لا نتصل بالمفتش؟

تختخ: ليس عندنا حتى الآن شيء مخالف للقانون ... إنها مجرد مشاهدات واستنتاجات رُبَّما لا تؤدِّي إلى أي شيء!

عاطف: إذن نذهب إلى القصر ونرى.

محب: هيَّا بنا!

ساد الصمت لحظات بعد هذا الاقتراح ... ثم قامت «لوزة» فقام معها بقية المغامرين واتجهوا إلى الخارج ... كانت السماء لا تزال تُمطر مطرًا خفيفًا ... وقالت لوزة: أين «زنجر»؟

تختخ: إنه مختبئٌ في كوخه من المطر ... فهو كلب حريص.

لوزة: ألا نأخذه معنا؟

تختخ: لسنا في حاجة إليه الآن.

وبدأت الرحلة الطويلة من المعادي إلى حلوان ... ولحسن الحظ أن السماء بدأت تُخِفُّ مطرَها شيئًا فشيئًا ... واستطاعوا أن يقطعوا مسافة كبيرة قبل أن يشتدَّ المطر مرة أخرى ...

وأشرفوا على القصر أخيرًا ... وقد اشتدَّ المطر ... وصاح «تختخ»: سنتجه إلى الجانب الأيسر من القصر ... حيث يوجد الجراج ... إنني أريد أن أرى السيارة التي ضُبطت في التهريب.

واتجهوا جميعًا إلى ناحية الجراج وَوَجَدوه مُتسعًا، فأسرعوا إلى ركن منه، وأخذوا ينظرون في العَتَمة حتى وجدوا بابًا في أحد أطرافه ... فمشوا إليه، ودفع «تختخ» الباب بيده ... وكانت مفاجأة ... كانت السيارة من طراز «فورد» موديل ١٩٣٠ تقف في مكانها وكأنها خرجت بالأمس من المصنع ... نظيفة لامعة، وكل شيء ينطق بأنها تستطيع أن تسير فورًا ...

دارت الأفكار في رأس «تختخ» سريعًا كأنها عاصفة ... إن كلَّ شيء في القصر يعلوه التراب ... فلماذا تبقى السيارة بهذه النظافة ... وبرغم أنهم كانوا في شبه ظلام فإن أجزاء السيارة كانت تبرق أمامهم.

وقال «محب»: إنها تساوي ثروة.

تختخ: المدهش أنها ما زالت بهذه الحالة بعد مرور نحو خمسين عامًا على إنتاجها.

لوزة: إن هذا يعني أشياء كثيرة.

تختخ: تمامًا.

نوسة: ماذا يعني؟

تختخ: يعني أنَّ أحدًا ما يهتمُّ بالسيارة ويهمُّه أن تتحرك.

محب: ماذا تقصد؟

تختخ: لا شيء أكثر من أن هذه السيارة جاهزة للسير ... تعالَوْا نتفرَّج عليها عن قُرب.

وداروا حول السيارة، ومدَّ «تختخ» إصبعه ومسح الرفرف، فلم يجد عليه أي تراب، ففتح الباب ودخل إلى السيارة ... كانت لا تقلُّ نظافةً عن خارجها ... وأخذ ينظر في العدَّادات على ضوء مصباحه الصغير ثم نزل وهو يقول: إن هذه السيارة وحدها لغز!

محب: تعالَوْا نذهب إلى القصر ... إنني متشوِّق لأنْ أرى ماذا يحدث داخله.

تختخ: لحظة واحدة!

وأدار مصباحه الصغير على جدران الجراج ثم توقَّف عند باب وقال: إن هذا الباب يؤدِّي إلى داخل القصر.

واتجهوا إلى الباب، وفتحه «تختخ»، ولم يُدْهشْه أن الباب لم يُصدر أيَّ صوت، فقد كان واضحًا أنَّ ثمة شخصًا يتحرك داخل الجراج في تنظيف السيارة، وأنه يستخدم هذا الباب.

دخلوا إلى دهليز طويل رطب، ودارت مصابيحهم الصغيرة في الدهليز ... كانت هناك قطع غيار السيارات، وكمية كبيرةٌ من الهياكل القديمة وعجلات الكاوتشوك ... وفي الجانب الملاصق للجراج بالضبط، وجدوا عدة حقائب ليست قديمة، حافلةً بأدوات إصلاح السيارات.

أحسَّ المغامرون جميعًا أنهم عثروا على كَنْز من المعلومات ... فمن الواضح أن هذه الأشياء كلها جُلبت من خارج القصر حديثًا ... وأن ثمة شخصًا ما يقوم بإصلاح السيارة ... فلماذا؟

همست «نوسة»: أليس من الممكن أن يكون هذا الشخص تابعًا للحكومة؟!

تختخ: نعم ... من الممكن!

نوسة: في هذه الحالة تكون المسألة عادية جدًّا! وليس هناك لغزٌ ولا يحزنون!

ارتاعت «لوزة» عندما سمعت هذا التعليل ... فهذا يعني أنه ليس هناك لغز ... وأنهم سيعودون دون أن يحلُّوا شيئًا أو يدخلوا في مغامرة، فقالت: إنني ضد هذا التعليل!

عاطف: بالطبع لأنه سيقضي على اللُّغز!

لوزة: لا ... ولكن لأنه ليس منطقيًّا ... فإذا كان هذا الرجل تابعًا للحكومة كما تقولون، فلماذا يضع أدواتِه وأشياءه داخل القصر؟ لماذا يبدو وكأنه يعمل في الخفاء؟

تختخ: معكِ حق ... ولكن كل شيء ممكن.

محب: المسألة بسيطة ... علينا أن نقابل هذا الرجل ... وسنعرف منه إذا كان موظفًا حقًّا في الحكومة أو شخصًا دخَلَ خُلْسةً لسبب لا نعرفه.

لوزة: هذا كلام شديد السذاجة ... وأؤكد لكم أنَّ هناك لغزًا خطيرًا، وأننا يجب أن نكون على حذر.

تختخ: إنني متشوِّق لمعرفة ماذا يحدث في هذا القصر العتيق ... سواء أكان لغزًا أم وهْمًا ... دعونا نسير.

تختخ: وساروا في الدهليز الطويل ... وقُرب نهايته كانت هناك ثلاثة مخارج، كل منها يؤدِّي إلى مكان مختلف ... سُلَّم تنزل إلى أسفل ... وباب يتجه يمينًا، وباب آخر يتجه يسارًا ...

أشار «تختخ» إلى السلم ... ونزل هو أولًا، وهو يُطلق شعاع مصباحه الصغير ... كان السُّلم برغم قِدَمِ القصر ما زال متماسكًا ورائعًا ... فقد كان مصنوعًا من الرخام الأسود الجميل ... وقال «تختخ» في نفسه: إنه رخامُ إيطاليا الرائع!

وأخذ السُّلم يدور بهم نازلًا ... وهمست «نوسة» لـ «محب»: شيء غريب، كأنَّ تحت هذا القصر قصرًا آخر!

محب: تذكَّري ما قاله الرجل العجوز للأصدقاء ... إن المهندسين الإيطاليين لم يسمحوا لأحد من المصريين بالدخول إلى بعض الأماكن في أثناء بناء القصر.

نوسة: معها حق «لوزة» ... فهذا قصر الأسرار.

أخيرًا وصلوا إلى نهاية السلم، ودار «تختخ» بشعاع الضوء الرفيع ... كانوا في وسط صالة واسعة قد فُرشت بفرش بسيط ... وعلى الجدران عُلِّقت عشرات من أنواع الأسلحة المختلفة ... بنادق ومسدسات وخناجر كلها من طراز قديم ... ولكنها ما زالت قادرة على أداء واجبها.

توقَّفوا جميعًا أمام هذا المنظر المهول ... كانت ترسانة من الأسلحة تكفي لتسليح جيش صغير ... وساد الصمت لحظات، ولكن فجأة سمعوا صوت الأقدام المجهولة تتجوَّل هذه المرة بجوارهم ... لا يفصلها عنهم سوى الجدار.

مَنْ هناك؟

كانَ صوتُ الأقدام لشخص يتحرك على نفس مستوى وقوفهم ... أي في غرفة مجاورة ... فتوقفوا في أماكنهم كالتماثيل ... فلو اكتشف صاحب الأقدام وجودَهم لأصبحت كارثة ... وقد يتعرَّضون لخطر مخيف.

أطْفَئُوا أضواء البطاريات الصغيرة، وساد الظلام ... وأخذ صوت الأقدام يبتعد عنهم تدريجيًّا حتى تلاشى ... كان واضحًا أن صاحبها قد غادر الغرفة ... وأخذ «تختخ» يفكِّر بسرعة ... هل سيحاول صاحب الأقدام أن يهاجمَهم؟ ... هل يستطيع مثلًا أن يُغلق بابًا عليهم فلا يغادروا المكان؟ كان عليه أن يتصرَّف سريعًا.

أخرج مصباحه الصغير، وأضاءه، وأرسل أشعته الرفيعة على الجدران ... لا بُدَّ أن هناك بابًا موصلًا بين الصالة التي يقفون فيها ... وبين الغرفة التي كان فيها هذا الشخص ... وفعلًا عثر على ثلاثة أبواب ... وتقدَّم بهدوء، وأخذ يحاول فتحها ... ولكن الأبواب الثلاثة كانت مُغلقةً بإحكام ... ولم تكن المفاتيح في الأبواب ... ومعنى هذا أنها مُغلقة من الناحية الأخرى.

همس «تختخ»: لا بُدَّ أن نُغادر هذه الصالة سريعًا ... إننا قد نتعرَّض لخطر جسيم ... وبدأ يسير في اتجاه السلالم ... ومشى المغامرون خلفه ... وصعدوا الدرجات حتى وصلوا إلى قُرب نهايتها ... وكانت مفاجأة مُذهلة! ... لقد غُطِّيَ المدخل الذي نزلوا منه بغطاء مُحكَم ... وأصبحوا سجناء هذا القبو المخيف ... قبو الأسلحة ...

أدرك «تختخ» ما حدث ... وكذلك أدرك بقية المغامرين ... فصاحب الأقدام عرَف أنهم موجودون ... سمِع صوت أقدامهم ... وتصرَّف بسرعة ... تركهم ينتظرون ويتسمَّعون، وصعد سريعًا إلى الدور الأول، وقام بإغلاق الفتحة ... إن لها بابًا سريًّا لا يعرفه إلَّا مَن اشتركوا في البناء ... ومعنى هذا أن الرجل من الذين يعرفون أسرار القصر وما فيه

من دهاليز وممرات سريَّة ... ومعنى هذا أيضًا أنهم أسرى للشخص المجهول ... وأنهم معرَّضون لأخطار كثيرة ... منها الموت جوعًا وعطشًا ... فلا أحد في الدنيا كلها يعرف أين هم ليُنقذَهم ... ودارت برءوسهم عشرات الأفكار السوداء ... وتذكَّرت «نوسة» رواية قرأتها عن قصر مثل هذا القصر ... فيه دهاليز تغمرها المياه عند الحاجة ... فيموت من فيها غرقًا ... وأحسَّت بقلبها يخفق بشدة ... هل يتعرَّضون لهذا المصير؟

كانوا يقفون على درجات السُّلَّم، وقد تسمَّرت أقدامهم ... وأطفأ «تختخ» مصباحه الصغير ... فهو سوف يحتاج إلى إضاءته فترة طويلة، ومن الأفضل توفير البطارية أطول مدة ممكنة.

همس «تختخ» في الظلام: مَن الذي يقف على آخر السُّلَّم؟

ردَّ «عاطف»: أنا.

تختخ: أَضِئْ مصباحك وسنتبعك ... سوف ننزل إلى الصالة مرة أخرى!

عاطف: ألا تحاول معرفةَ طريقة لفتح هذا الباب الذي نزل علينا؟

تختخ: معك حق ... سوف أحاول!

وأضاء مصباحه ثم أطلق شعاعَ الضوء الصغير، ودار به عند السقف الذي نزل عليهم ... وهزَّ رأسه يائسًا ... لقد كان من الحديد الثقيل، وقد نزل بإحكام على الفتحة، فأصبحت كعُلبة السردين ... وصعد «تختخ» درجةً أخرى، ومدَّ يده يختبر الباب ... حاول أن يرفعه ... حاول أن يُحرِّكه يمينًا ويسارًا ... ولكن محاولاته ذهبت هباءً ... كان يشبه نملةً صغيرة تحاول زحزحةَ صخرة ضخمة من مكانها.

همس: لا فائدة ... يجب أن نبحث عن حلٍّ من أسفل!

ونزلوا جميعًا على ضوء مصباح «عاطف»، وتقدَّم «تختخ» من الباب الأول وأخذ يختبره ... كان متينًا وقويًّا ولا يمكن اقتحامُه ... وأسرع إلى الباب الثاني ... والثالث ... ولكن نفس النتيجة ... أبواب قديمة قوية ... ونظر «تختخ» إلى ساعته ... كانت قد تجاوزت الثانية بعد الظهر ... ومن الممكن أن تتنبَّه عائلاتُهم إلى غيابهم ... ولكن ماذا سيفعلون؟ لا أحد على الإطلاق يعرف أين هم الآن! كان الموقف خطيرًا! ولكن «تختخ» كان متمالكًا أعصابَه جدًّا، فقال للأصدقاء: تعالوا نجلس على الكنبة التي في صدر المكان ... لنستطيع أن نتحدَّث ونفكِّر معًا.

واتجهوا جميعًا إلى صدر الصالة على ضوء أحد المصابيح ... وجلسوا متجاورين ... ثلاثة على الكنبة واثنان على مقعدين ... وقال «تختخ»: إن الموقف خطير حقًّا ... ولكن سوف نجد حلًّا!

محب: عن طريق هذه الأبواب؟

تختخ: في الأغلب عن طريق هذه الأبواب ... لقد أخطأت لأنني لم أُحضر معي أدواتي الدقيقة التي تفتح الأبواب ...

محب: إنه خَطؤنا جميعًا!

نوسة: لماذا لا نفكر في حلٍّ عن طريق هذه الأسلحة؟

عاطف: ماذا تقصدين؟

نوسة: لقد قرأت كثيرًا، كما شاهدنا في الأفلام، وفي التليفزيون كيف يمكن فتح بابٍ بإطلاق رصاصةٍ على المزلاج؟!

تختخ: معكِ كل الحق يا «نوسة» ... نعم، إنها فكرة رائعة!

محب: ولكنها قد تلفت انتباه الرجل المجهول!

تختخ: وهل هذا مهم؟ ... إنه يعرف أننا هنا!

لوزة: ولكن ...

والتفت إليها المغامرون فقالت تُكمل حديثها: إن هذه الأسلحة كلها فارغة من الطلقات!

وكانت هذه الجملة كافيةً لإحداث صدمة شديدة في نفوس المغامرين ... فعادة ما تكون الأسلحة المعلَّقة في قاعات الأسلحة فارغة من الطلقات ... ومعنى هذا أن أول حلٍّ فكَّروا فيه غير قابلٍ للتنفيذ ... وهكذا ساد السكون بعد ما قالته «لوزة».

قال «تختخ» بعد قليل: فلنحاول على كل حال؛ لعلَّنا نعثر على بعض الذخيرة ... ربما نجد طلقةً في مسدس أو بندقية.

وأطلق كل منهم أشعة مصباحه الصغير ... وبدءوا يفحصون الأسلحة قطعةً بعد أخرى ... واستغرق ذلك منهم وقتًا طويلًا وجهدًا متَّصلًا ... كانت البنادق والمدافع الرشاشة ثقيلةً جدًّا ... وكان الاختبار يحتاج إلى دقة حتى لا تنطلق رصاصة خاطئة ... تُصيب أحدًا منهم ... ومضى الوقت، واختبروا كل قطع السلاح ... ولكنهم لم يجدوا رصاصةً واحدةً في أي سلاح منها.

وقفوا واجمين في الظلام، وقد ساد صمت ثقيل، وقال محب: لماذا لا نجرِّب تحطيم أحد الأبواب ... إن استعمال مدفع رشاش ثقيل يمكن أن يُحطِّم أي باب!

تختخ: إن ذلك سيُحدث ضجَّة عالية!

محب: وماذا يهمنا؟ إن الشخص المجهول يعرف أننا هنا ... وقد أغلق علينا الباب ... فلماذا نتخفَّى ... تعالوا نحاول!

تختخ: انتظر قليلًا يا «محب» ... إننا لا نريد أن نتسرَّع!

ونظر «تختخ» إلى ساعته مرة أخرى ... كانت قد أشرفت على الخامسة مساءً ... معنى هذا أنهم قضَوْا ثلاث ساعات تقريبًا في محاولات البحث عن ذخيرة في الأسلحة ... ومعنى ذلك أيضًا أن الظلام قد هبط ... وأن موقفهم يزداد سوءًا ...

وخُيِّل إليه أنه يسمع صوتًا ما ... صوتًا كأنه احتكاك صفائح معدنية بعضِها ببعض ... وزاد الصوت ... وسمعه بقية المغامرين ... لم يكن من الممكن معرفة معنى هذا الصوت مطلقًا، ولكنهم خشوا أن يكون معنى ذلك مزيدًا من الأبواب تُغلق عليهم.

وقال «محب»: إن موقفنا يزداد خطورة!

تختخ: فلنحاول اقتحام الباب.

نوسة: لقد لاحظت شيئًا ... هناك أدراج كثيرة تحت الأسلحة ... لماذا لا نبحث فيها عن ذخيرة أو أدوات ... وربما نجد مفاتيحَ لفتح الأبواب.

وأطلق «عاطف» شعاع مصباحه على الأدراج ... وانحنى «محب» وأخذ يُحاول فتحها ... ولحسن الحظ وجدها مفتوحة ... لم تكن هناك ذخيرة ... ولكن كانت هناك مجموعة من الأدوات الدقيقة ... مفكَّات ... مبارد ... أسلاك ... ولأول مرة أحسَّ «تختخ» أنَّ هناك أملًا في الفرار من هذا السجن المُخيف.

أخذ مجموعة من الأدوات، واتجه إلى أحد الأبواب ... وأخذ يستخدم كل مهارته في استخدام الأدوات الدقيقة التي طالما استخدمها في فتح النوافذ والأبواب ... ليس كلصٍّ ... ولكن كرجلٍ شريف يُساعد العدالة ... وينجو من الفِخاخ التي ينصبها له اللصوص والمجرمون.

استمرت محاولة «تختخ» طويلًا ... وأخذ عرقه يتصبَّب برغم برودة الجو ... ولكنه استمرَّ في المحاولة ... وعادت الأصوات تظهر من جديد ... ولكن هذه المرة كانت أصواتًا مختلفة ... كأنَّ شخصًا يحاول إدارة محرك لا يريد أن يدور.

أخيرًا ... سمع «تختخ» الصوت الذي يُريده ... لقد تحرَّك المِزْلاج من مكانه وانفتح الباب ... وتحرَّك المغامرون جميعًا إليه ... ولكن «تختخ» همس: انتظروا هنا ... سوف أدخل أنا أولًا.

سحب الباب بهدوء، وتوقف لحظات يتسمَّع ... لم يكن هناك إلَّا الصمت العميق ... فأطلق شعاع مصباحه الرفيع داخل الغرفة ... وشاهد على الجدران مجموعة من الأرفف ... وعلى كل رفٍّ رسم الشيء الذي فيه ... كانت كلها ذخائر خاصة بالأسلحة المعلَّقة ... وكان

ثمة مكتب صغير في جانب الغرفة ... وأسلاك من أنواع مختلفة ... وعلى بعض الشماعات كانت هناك ملابس قديمة قد علاها الغبار ... ولكن بينها بعض الملابس الجديدة.

همس «تختخ»: هيَّا بنا ... دخلوا جميعًا الغرفة ... ووجدوا بابًا في جانب منها، انفتح في يد «تختخ» بسهولة ... ثم أخذوا يتسلَّلون من الباب واحدًا وراء الآخر ... كان ثمة دهليز طويل قد أُلقِيَتْ على جوانبه بعض الصناديق القديمة ... ولدهشتهم الشديدة، وجدوا في نهايته ضوءًا كهربائيًّا، ودُهشوا، من أين يأتي هذا الضوء؟ ...

مغامرات في الدهاليز المظلمة

كان الضوء الكهربائي يُشعُّ في نهاية الممر ... ولم يكن هناك صوت محرِّك قريب يكون مصدر هذا الضوء ... وهذا يعني أن الكهرباء موجودةٌ في القصر ... ولكنها معزولةٌ عن أماكنَ معينة، وموجودة في أماكنَ أخرى ... وهذا يعني أيضًا أنَّ هناك أشخاصًا يُقيمون في القصر ... ويتصرَّفون بأسلوب معين يخدم أغراضهم.

سار الأصدقاء معًا ... وفكَّر «تختخ» أنه لو كان وحيدًا لتصرَّف بسهولة ... وكاد يطلب من المغامرين أن يُسرعوا بالانصراف ويتركوه وحيدًا ... ولكن أليسوا يشاركونه في كل مغامرة؟! ... كان يحسَّ أنه يخاف عليهم أكثر مما يخاف على نفسه ... ولكن لو قال لهم هذا لغضبوا وأصرُّوا على الاستمرار في المغامرة.

كان يسير في المقدمة ... وخلفه «محب» ثم «لوزة» ثم «نوسة» و«عاطف» ... وعندما واصل إلى نهاية الممر خُيِّل إليه أنه يسمع صوتًا قريبًا ... أشار للأصدقاء فتوقَّفوا، وتقدَّم هو وحيدًا ... ووقف بجوار سور الممر، وانطلق بحذر ... كانت هناك غرفة مضاءة، يشقُّ ضَوْءُها دهليزًا آخرَ قصيرًا ينتهي بسُلَّم صاعد إلى أعلى ... ومن هذه الغرفة كان يسمع الصوت.

تقدَّم على أطراف أصابعه حتى وصل إلى باب الغرفة، ونظر من خلال الفتحة الطويلة بين الباب والحائط، وكاد قلبه يقفز من مكانه ... كان ثمة رجل عجوز ... عجوز جدًّا يبدو كالطَّائر ... رفيع وضئيل الجسم، شعره أبيض كله كالقطن ... وقد جلس على حافة فراش صغير، وأخذ يحتسي قدحًا من القهوة في هدوء ... ولم يكن في بقية الغرفة أحد ... لم يكن هناك سوى بعض الملابس معلَّقة على الجدار ... وحذاء من نوع «البوت» أسود اللون ... وبعض الأدوات الميكانيكية في حقيبة من الجلد السميك.

عاد «تختخ» مُسرعًا إلى الأصدقاء، وهمس لهم بما رأى … ثم قال: لعل هذا الرجل هو صاحب الأقدام الغامضة!

همس «محب»: ولعلَّ هناك شخصًا آخر!

تختخ: يجب أن نخرج الآن من هذا القصر … لقد عرَفنا أشياءَ كثيرة تكفي لتحديد موقفنا … ولكنَّ بقاءنا أكثر فيه خطورة!

ووافق المغامرون على هذا الاقتراح … ولكن كان عليهم للصعود إلى الدور الأول أن يمرُّوا من أمام الباب المُضاء حيث يجلس الرجل … ولم يكن هناك حلٌّ آخر.

قال «تختخ» هامسًا: سنسير على أطراف أصابعنا بسرعة!

واندفع «تختخ» أولًا … ثم تبِعتْه «نوسة» و«لوزة» … ثم «محب» … و«عاطف» … وسمعوا صوت الرجل يأتي من داخل الغرفة قائلًا بالإيطالية: «كوستا توأونو؟» هل هو أنت يا «منجالي»؟

صعد المغامرون السلم بسرعة … ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان … وجدوا رجلًا ضخمًا يأتي من أعلى السلم نازلًا … وهو يصيح بالإيطالية: من أنتم؟ «كي دي لا».

عاد المغامرون ينزلون السلم بسرعة … وكان «تختخ» آخرهم … ودارت في رأسه الأفكار بسرعة … كان لا بُدَّ من حل … وإلَّا تعرضوا لخطر لا أحد يعرف مداه …

وقرر أن يقوم بمحاولة … كان الرجل ينزل مندفعًا كالصخرة … ووقف «تختخ» عند آخر السلم … ثم مدَّ قدمه أمام الرجل الذي اصطدم بها بشدة، وسقط على الأرض سقطة مدوِّية … وبرغم الألم الذي أحسَّه في ساقه، فقد عاد «تختخ» يجري فوق السلم وهو ينادي الأصدقاء الذين اندفعوا خلفه متخطِّين الرجل المُلقى على الأرض … وصعدوا السُّلَّم مُسرعين …

استطاعوا أن يصلوا إلى نهاية السلم قبل أن يقوم الرجل وهو يسبُّ ويلعن … ووجدوا في نهاية السلم بابًا، صفقه «محب» خلفه، ثم أغلقه بالمفتاح الذي وجده فيه … وهكذا أصبحوا في أمان لبضع دقائق، فأخذوا يجرون في البهو الواسع الذي وجدوا أنفسهم فيه، وقد أضاءوا مصابيحهم الصغيرة، وعلى ضوئها، وجدوا بضعةَ أبواب زجاجية ضخمة، كان أكثر زجاجها مُحطَّمًا، فنفذوا منها سريعًا، ووجدوا أنفسهم يعودون إلى الصالة الكبيرة في أول القصر … فأخذوا يجرون حتى وصلوا إلى السور، ونفذوا منه إلى الحديقة الكبيرة.

كان الجو عاصفًا، والأمطار تتدفَّق بغزارة، وقطعوا مسافةً شاسعة جريًا وهم يلهثون، ولكن كان في انتظارهم أسوأ مفاجأة … فقد بحثوا عن دراجاتهم في أماكنها فلم يجدوها …

لم يكن هناك وقت للكلام ... فقد أخذوا يجرون دون توقف، حتى وصلوا إلى حدود مدينة حلوان، بدأت الأضواء تُضيء لهم الطريق ... وأحسُّوا ببعض الطُّمأنينة ... وتوقَّفوا يستردُّون أنفاسهم اللَّاهثة ... ولكن فجأة من نفس المكان الذي أتَوْا منه ... شاهدوا سيارةً تأتي من ناحية القصر ... شاهدوا أضواء الكشَّافات الأمامية، والسيارة تسير بحذر شديد فوق الأرض الوعرة التي بلَّلها ماء المطر ...

قال «محب»: سيارة!

ردَّ «تختخ»: نعم ... من أين تأتي إلَّا من القصر ... إنها منطقة وعرة لا تدخلها السيارات.

نوسة: هذا يعني أنها السيارة التي شاهدناها هناك!

عاطف: إنهم يهربون!

تختخ: بالطبع ... فقد توقَّعوا أن نتصل بالشرطة للإبلاغ عنهم! كانت السيارة تقترب من نفس المكان الذي يقفون فيه ... فأسرعوا يختفون بجانب أحد المنازل ... وظهرت السيارة، ثم مرَّت أمامهم ... وكانت مفاجأةً، لم تكن هي السيارة التي شاهدوها في القصر ... لقد كانت السيارة التي هناك من طراز فورد سنة ١٩٣٠، ولكن هذه السيارة من طرازٍ آخر ... وبرغم هواية «محب» للسيارات، وإمكانه التعرُّف على أية سيارة من نظرة واحدةٍ فإنه لم يستطع التعرُّف على السيارة التي مرَّت أمامهم وقال مُعلِّقًا: إنها طرازٌ غريب من السيارات لم أره من قبل.

نوسة: وللأسف لم نستطع التقاط أرقامها في الظلام!

تختخ: إنني أفكر في العودة إلى القصر.

لوزة: وحدك؟

تختخ: نعم وحدي!

لوزة: لماذا تريد أن تعود؟ ... لعلَّهم ما زالوا هناك؛ فالسيارة التي مرَّت الآن ليست سيارتهم.

تختخ: لا بُدَّ أن أتأكَّد من ذلك!

محب: سآتي معك.

تختخ: موافق ... وليَعُدْ «عاطف» و«نوسة» و«لوزة» إلى المعادي ... فإذا لم نصل حتى الصباح، فعليهم الاتصال بالمفتش «سامي» وإخطاره بما حدث لنا!

لم يكن أمام «نوسة» و«عاطف» و«لوزة» إلَّا الموافقة ... فعودتهم كلهم تعرِّضهم لمخاطرَ أكثر ... أما إذا عاد «تختخ» و«محب» فقط فسيكونان أقدر على سرعة الحركة ...

بالإضافة إلى أن عودتهم إلى المعادي ستتيح لهم فرصة الاتصال بالمفتش «سامي» وحماية «تختخ» و«محب».

وهكذا افترق المغامرون ... وأخذ «تختخ» و«محب» طريقهما إلى القصر ... كان المطر ما زال مستمرًّا ... وأحسَّ «تختخ» بالجوع ... فقد فات وقت الغداء، وحان وقت العشاء دون أن يضع لقمة واحدة في فمه ... وأخذ يفكر في ساندوتشات الطعمية الساخنة التي أكلها أمس، فيسيل لعابه.

سار الصديقان مُسرعَيْن ... لم يكن يشغلهما هذه المرة وجود «لوزة» الصغيرة و«نوسة» معهما ... إنهما الآن يواجهان كلَّ شيء وحدهما، وقد ملأتهما مشاعر المغامرة بالجرأة والشجاعة.

وصلا إلى القصر، كان غارقًا في الظلام ... ولم يترددا في الدخول، وأسرعا إلى الصالة ... ثم إلى السُّلَّم الذي هربا منه ... وسرعان ما وجدا نفسيهما عند الغرفة المُضاءة التي كان بها الرجل العجوز ... وتقدَّم «تختخ» على أطراف أصابعه ... كان يحسُّ أن لا أحد هناك ... ولكن الحذر كان واجبًا ... وهكذا نظرا مرةً أخرى من فراغ الباب ... كانت الغرفة فارغةً ولا أحد هناك.

دخل إلى الغرفة وهو يُشير إلى «محب» أن يتبعه ... وقاما معًا بتفتيش الغرفة بسرعة ... وعرفا على الفور أن الرجل العجوز قد غادرها في عَجَلةٍ من أمره ... فقد ترك ملابسه، وأشياءه الخاصة، ومن بينها «بايب» قديم وضعه «تختخ» في جيبه، ثم وجد بعض تفَّاحات في طبق، فلم يتردد وأخذ واحدة التهمها سريعًا، وأعطى واحدة لـ «محب».

ابتسم «محب» وهو يلاحظ صديقه الشرِه وهو يقضم التفاحة في نهَم شديد، وقال «تختخ»: لقد غادرا المكان!

محب: كيف؟! ... والسيارة التي شاهدناها لم تكن السيارة «الفورد» القديمة!

تختخ: ربما كانت معهما سيارة أخرى كانا يُخفيانها في مكان آخر من الحديقة الواسعة؛ إننا لم نفتِّش كل مكان هنا.

محب: تعالَ نبحث عن السيارة القديمة وبعدها نعرف!

وأسرعا في الدهاليز إلى الباب الذي يفصل القصر عن الجراج وقضيا نحو نصف ساعة يجريان على غير هدى ... لقد تاها داخل القصر، وأخيرًا قال «تختخ» وهو يلهث: من الأفضل أن نخرج من القصر، ونذهب إلى الجراج عن طريق الحديقة.

وعادا إلى الحديقة مرةً أخرى ... واتجها إلى الجراج ... وفتحا الباب الكبير الذي وجداه مغلقًا ... وأطلق كل منهما شعاع مصباحه الصغير داخل الجراج وكانت في انتظارهما

مفاجأة ... لقد اختفت السيارة «الفورد» القديمة، ولم يعد لها أثر ... وفي جانب من الجراج كانت درَّاجاتهم الخمسة ملقاةً على الأرض وعلى الجدار، وقد أُفرغت إطاراتها كلها من الهواء ...

وقف الصديقان مذهولَيْن ... وقد أدركا أنهما جاءا بعد فوات الأوان.

رجلان آخران

سادت فترة صمت ... وأدرك الصديقان أنهما جاءا متأخرَيْن ... فقد طار العُصفوران من القفص ... ولم يعد عند المغامرين أيُّ دليل يدلُّ عليهما ... حتى السيارة بفرض أنهما كانا فيها فالمغامرون الخمسة لا يعرفون لها ماركة أو رقمًا.

نطق «محب» قائلًا: هل سنفتِّش القصر؟

ردَّ «تختخ»: وما الفائدة؟! إن علينا الآن أن نعود مُسرعَيْن إلى المعادي ... لعلنا لو استطعنا أن نتصل بالمفتش «سامي» أن نضع الشرطة في أثرهما!

وأخذ «تختخ» يجول بشعاع مصباحه الصغير في المكان ... كان واضحًا أن عملًا نَشِطًا قد تمَّ في الجراج ... فقد كانت هناك عشرات من الأجهزة الصغيرة، وعشرات من المسامير مُلقاة على الأرض ... وفجأة تذكَّر «تختخ» الصوت الذي سمِعه ليلةَ دخل القصر ... صوت الشيء الذي يبدو في الصالة ... ثم حركة فَتْح الباب، وقال لـ «محب»: تعالَ نذهب إلى الصالة ... إننا في الأغلب وحدنا في القصر ... وربما عثرنا على أشياء تساعدنا في العثور على الرجلين الهاربين.

دخلا من باب الجراج الداخلي إلى القصر ... ثم اتجها معًا إلى الصالة الواسعة ... كانت التماثيل البرونزية الضخمة تقف في مكانها كالحراس ... وأخذ «تختخ» ينظر إليها على ضوء مصباحه واحدًا واحدًا بإمعان شديد ... وتذكَّر لغز «الكلب ذو الرأسين» الذي استطاع عن طريق إدارة أحد رءوس الكلاب أن يكشف عن الحقيقة ... وتوقف أمام أحد التماثيل وقال لـ «محب»: تعالَ ساعدني!

وأعطاه مصباحه، وأخذ يدور حول التمثال لحظات ... ثم مدَّ يده إلى القاعدة، وضغط على جزءٍ صغير منها، وسمع تكَّة خفيفة ... ثم أدار قاعدة التمثال، ولم يحدث شيء فقال «محب»: ما هذا؟

تختخ: إن النتيجة ستكون داخل القصر ذاته وليس هنا!

واتجه إلى باب الغرفة المجاورة للتمثال، وفتح الباب، وكم كانت دهشة المغامرَيْن ... ففي أرضية الغرفة، كان ثمة باب قد انزلق من مكانه، وترك فراغًا مُظلمًا وعندما أضاءه «محب» بمصباحه شاهد سُلَّمًا حلزونيًّا ينزل إلى أسفل القصر ...

ولم يتردد الصديقان في النزول على ضوء مصباحيهما ... ونزلا السلم حتى وصلا إلى مستوى ما تحت الأرض ... وشاهدا لدهشتهما الشديدة غرفةً واسعةً كأنها غرفة عمليات بها أجهزة لاسلكي، وجهازا تليفون ... وخرائط لمصر خاصة منطقة حلوان والجهات المحيطة بها، كما شاهدا بوتاجازًا كهربائيًّا صغيرًا ... ووصلاتٍ كثيرةً كهربائية.

ولدهشتهما الشديدة دقَّ جرس التليفون، وأسرع «محب» لرفع السماعة ولكن «تختخ» منعه ... قائلًا: إن ذلك سيكشف وجودنا!

كان جهاز التليفون عاديًّا، ولكن في جانبه كان هناك «إيريال» طويل أكَّد أنه تليفون لاسلكي ... وأخذ «تختخ» ينظر حوله ... كان هناك ثلاثة صناديق تليفونات فارغة ... ولم يكن في الغرفة سوى جهازين فقط فقال: هناك جهاز تليفون ناقص!

محب: لعله في إحدى الغرف!

تختخ: لا أظن ... إن الوصلات كلها هنا ... ولكني أعتقد أنه في السيارة ... كان جهاز التليفون ما زال يرنُّ ... ولكن توقَّف بعد لحظات ... وساد الصمت المكان، وقال محب: ماذا سنفعل؟

تختخ: إنني أفكِّر في هؤلاء الذين جاءوا من إيطاليا وتكبَّدوا كل هذه المشاق من أجل سرقة سيارة!

محب: لا تنسَ شحنة الهورايين!

تختخ: لقد فكَّرت في هذا من قبل ... ولكن الهورايين بعد خمسين عامًا لا بُدَّ أن يكون قد تحوَّل إلى مادةٍ أخرى لا تصلح لشيء ... ثم لا تنسَ أنَّ رجال الشرطة في ذلك التاريخ لم يجدوا أثرًا له مع المهربين.

محب: وماذا تظن إذن؟

تختخ: إنني حائر ... وكل ما أفكر فيه هو أين ذهبت السيارة ... وكيف نستطيع الوصول إليها؟

محب: لا حلَّ لنا إلَّا الاتصال بالمفتش «سامي».

تختخ: نعم ... هذا هو الحل الوحيد!

محب: هل نستطيع الاتصال به من هنا؟

تختخ: بالطبع ... إنه جهاز تليفون لاسلكي ... أي بلا أسلاك، ولكنه يعمل بالأرقام العادية مثل أي جهاز تليفون في السيارة!

وتقدم «تختخ» من التليفون ورفع السماعة، ووضعها على أذنه ... كانت الحرارة عاديةً ... وأدار رقم المفتش سامي ... الذي ردَّ على الفور فقال «تختخ»: مساء الخير يا سيادة المفتش!

المفتش: مساء الخير يا «توفيق» ... ماذا وراءك؟

تختخ: إنني أحدثك من مكان غريب لا يخطر على بالك.

المفتش: مغامرةٌ جديدة!

تختخ: من أغرب المغامرات ... إنني و«محب» في قصر قديم في حلوان تتمُّ فيه أو تمت فيه أحداث غريبة.

المفتش: أي نوع من الأحداث؟

تختخ: لعلك تذكر المُهَرِّب الإيطالي الدولي «تريجنزا»؟

المفتش: أذكره طبعًا ... فقد عاد ورثته هذه الأيام يطالبون بالقصر ... وبسيارة كان يملكها في مصر.

تختخ: إننا ...

ولكن «تختخ» لم يكمل حديثه فقد سمعوا صوت طلقة مسدس ترنُّ في الغرفة ... وصوت حديثٍ غاضب بالإيطالية ... ثم نزل رجلان السلَّم مُسرعَين و«تختخ» ما زال مُمسكًا بالسماعة دون أن يقول كلمة واحدة ... وأسرع أحد الرجلين ينتزع السماعة من يده، ويضعها مكانها ... لم يكن الرجلين هما نفس الرجلين اللَّذين شاهدهما المغامرون من قبل ... كانا أكثر فخامةً، وقد ظهرت عليهما الشراسة، وقال أحدهما: هل يتحدث أحدكما الإنجليزية؟

ردَّ «تختخ»: نعم ... كلانا يتحدث بها!

الرجل: ماذا تفعلان هنا؟

تختخ: كنا نمرُّ بالمكان ...

صاح الرجل وقد تغيَّر وجهه: تمرَّان! ... ما معنى هذا؟

مَن الذي أوصلكما إلى هنا؟ وأين «منجالي» وزميله؟ لقد اتصلنا بهما مِرارًا دون أن يردَّا!

لم يردَّ «تختخ» على هذا السيل من الأسئلة، فمضى الرجل يقول: مع من كنت تتحدث؟

تختخ: مع صديق لنا!

الرجل: ماذا يعمل؟

تختخ: لا يعمل شيئًا ...

صاح الرجل وهو يلوِّح بالمسدس في وجه «تختخ»: لا تتظارف معي وإلَّا قتلتُك!

سكت «تختخ» وأخذ الرجل يحدِّث زميله بالإيطالية ... كان واضحًا لـ «محب» و«تختخ» أنه ساخطٌ جدًّا لأن زميليه غادرا المكان ... فقد كان يشير بيديه حوله في جنون ... ثم جلس أخيرًا وهو يلهث ... وقام زميله، وأخذ يُدير قرص التليفون ... ويبدو أنه كان يحاول التحدث إلى السيارة ... والتقطت عينا «تختخ» الأرقام ... وعرف كل رقم، وأغمض عينيه وكأنه يكتب الأرقام على صفحة ذاكرته.

كان واضحًا أن السيارة لا ترد ... ووضع الرجل سماعة التليفون ساخطًا ... وأخذ يتحدث مع زميله في عصبية ... كان واضحًا أنهما في مأزق ... وأن ثمة خيانة قد وقعت من الرَّجلين الآخرَيْن.

وكان «محب» يحسب الوقت ... إنَّ المفتش «سامي» قد سمع الطَّلق النَّاري ... ولا بُدَّ أنه أدرك أنهما في مأزق ... فإذا تحرَّك في نفس الوقت من مكانه فذلك يقتضي نحو ٤٥ دقيقة للوصول إلى حلوان لإنقاذهما.

عاد الرجلان يتحدثان وقد بدا عليهما اليأس والغضب ... وكان «تختخ» يفكر في هذه اللحظة أنهما قد يفرغان يأسهما وغضبهما فيهما ... وكان كل منهما يحمل مسدسًا ضخمًا من نوع «برابيللو» الإيطالي ... والذي تشبه طلقتُه طلقةَ بندقية ... ثم عاد الأول يتحدث إلى «تختخ» قائلًا: هل شاهدتما سيارة هنا؟

تختخ: لم تكن سيارةً واحدة!

الرجل: متى؟

تختخ: منذ ساعة ونصف تقريبًا.

الرجل: وأين اتجهت؟

تختخ: لا أدري ... لقد مرَّت بنا ونحن نقف بعيدًا عن القصر.

الرجل: من أي طراز هي؟

تختخ: لقد رأيتها وهي هنا من طراز «فورد» ١٩٣٠، ولكن السيارة التي مرت بنا بعد ذلك لم يكن لها طراز على الإطلاق.

ودكَّ الرجل بقدمه الأرض وكأنه سينفجر، وتحدث إلى زميله مرةً أخرى بالإيطالية ... وهنا وَمَضَ بذهنِ «تختخ» فجأة أول حلٍّ للغز السيارتين ... إنهما سيارة واحدة ...

لقد تذكر الرفارف وأجزاء الإكصدام التي كانت بجوار السيارة عندما شاهدها أول مرة ... ولكن في المرة الثانية لم تكن هناك لا رفارف ولا أية أجزاء ... إذن فالسيارة واحدة ... نعم سيارة واحدة من طراز «فورد» موديل ١٩٣٠، ولكنَّ الرَّجُلين غطَّياها برفارف وقطع إكصدام زائفة، بحيث تبدو سيارة أخرى لا يمكن تتبُّعها ... إذن فالخطة واضحة ... أن يهرِّب الرجالُ الأربعة السيارة «الفورد» تحت ستار سيارة أخرى ... سيارة لا طراز لها ... ولكن لماذا؟

لماذا كل هذا العناء والتعرض للموت؟ ... أَمِنْ أجل سيارة ثمنها بضعة ألوف من الجنيهات؟! إن رجال «المافيا» ... لا يمكن أن يخوضوا معركةً بهذا الحجم من أجل سيارة قديمة، مهما كان ثمنها ... إذن فاللغز الأصلي لا يزال موجودًا!

كان الأربعة يجلسون في صمت عندما سمعوا صوت سيارة مُقبلة ... بدأ الصوت ضعيفًا في البداية ثم بدأ يقوَى شيئًا فشيئًا ... صوت موتور سيارة ... وفكَّر «محب» و«تختخ» في الوقت نفسه ... هل هي سيارة المفتش «سامي»؟ ولكن لا ... لأنه لا يستطيع أن يصل إلى القصر بهذه السرعة ... سيارة مَنْ إذن؟ هل عاد المهرِّبان بالسيارة «الفورد» مرةً أخرى؟!

وقف الرجلان وأشهرا مسدسيهما ... واستمعا في إصغاء كامل إلى صوت المحرِّك، وهو يزداد ارتفاعًا حتى توقفت السيارة أمام القصر ... وبدأ شرر الغضب ينبثق من عينيهما ... لقد أدركا أنها ليست السيارة «الفورد» ... وكان «محب» و«تختخ» متأكِّدين أيضًا أنها ليست سيارة المفتش ... فلم تمضِ إلَّا عشرون دقيقة فقط منذ تحدث «تختخ» إليه ... سيارة مَنْ هي؟

قام أحد الرجلين، وأسرع إلى السُّلَّم صاعدًا إلى فوق، وبقيَ الآخر يراقب المغامريْن، وقد اكتسَى وجهُه بالتجهُّمِ والوحشية.

لغز السيارة الفورد

كان الموقف متوترًا، ولا أحدَ يعرف كيف ينتهي ... وكان «تختخ» يفكِّر بسرعة الصاروخ فيما يحدث. وهل في إمكانه هو و«محب» أن يفعلا شيئًا ... وأقدم على عمل بسيط دون أن يلفت الأنظار، وفجأة دوَّى في الصمت صوت مكبر للصوت ... كان يقول: الشرطة ... إننا نطلب من الموجودين هنا جميعًا تسليم أنفسهم.

كان الصوت يتحدث بالعربية، فأشار الإيطالي إلى «تختخ» يطلب منه الترجمة فقال: إنهم رجال الشرطة، وهم يطلبون منكما الاستسلام!

صاح الرجل في وحشية: مَن الذي استدعاهم؟

لم يرد «تختخ»، فأخذ الرجل يلوِّح بمسدسه في وجه «تختخ» مهددًا ... ولكن زميله أسرع إليه، وأخذ يحدثه ... وسرعان ما أسرع إلى فتحة في الحائط ضغط بإصبعه في وسطها بالضبط، فانطلقت منها ذراع حديدية صغيرة، أدارها الرجل إلى اليمين، فإذا جزء من جدار الغرفة يدور حول نفسه، وأشار الرجل إلى «تختخ» و«محب»، ثم أسرع خلفهما هو وزميله ... وكان رجال الشرطة يطلقون تحذيراتهم باللغة الإنجليزية هذه المرة ... كان الباب الذي انفتح يُطلُّ فجأةً على فجوة عميقة في الأرض ... نزل الأربعة منها ... ولم ينسَ الرجل أن يُغلق الباب خلفه.

نزلوا في الفجوة، ومرة أخرى كانت هناك سلسلة من الدرجات قد غطَّتها الرطوبة والطحالب ... وفكَّر «تختخ» أن المهرِّب «تريجنزا» يستحق اللقب الذي أُطلق عليه كمهرِّب دولي خطير ... فالقصر الذي بناه هو نموذج لقصر مهرِّب خطير مثله ... حافل بالدهاليز السرية، والأماكن الخفية حيث يمكن إخفاء أي شيء يمكن أن يتصوَّره إنسان ... وكان يفكر في الوقت نفسه أن المفتش «سامي» تصرَّف سريعًا ... وبدلًا من أن يَحضُر بنفسه ويضيِّع وقتًا طويلًا ... فقد تحدَّث مع إحدى سيارات النجدة باللاسلكي فحضرت سريعًا

إلى القصر ... كما كان يفكر أيضًا في الخُدعة الصغيرة التي قام بها ... فقد التقط — في أثناء نداءات الشرطة وارتباك الرجلين — قلمًا من على نافذة في الجدار ... وكتب رقم التليفون الذي كان يطلبه الإيطالي ... رقم تليفون السيارة كتبه على منديله ثم ألقاه على الأرض وهو خارج ... وكان يتمنَّى أن يجدَه رجال الشرطة ... فربما استطاعوا عن طريقه الوصول إلى السيارة.

أخذ الأربعة يجرون في الدهليز الذي كان مُضاءً وفارغًا، مما أثار دهشة المغامرين، وبعد فترة وصلوا إلى قُرب نهايته وتوقَّف الجميع، وقال الرجل بالإنجليزية: إنكما رهينتان عندنا ... وإذا حاولتما الفرار، فلن أتردد في إطلاق الرصاص عليكما.

لم يُجبْ «تختخ» وصعد أحدهما بضعة سلالم، ثم فتح باب الدهليز ... وتبِعه «تختخ» و«محب» ثم الرجل الثاني ... كانت السماء مظلمةً تمامًا ... والمطر ينهمر ... وعلى بعد أمتار من باب الدهليز فُوجئ «تختخ» بشبح سيارة ... وتقدَّم الأربعة منها ... وركب «تختخ» بجوار أحد الرجلين الذي تولَّى القيادة ... وركب «محب» بجوار الآخر في المقعد الخلفي، ونظر «تختخ» أمامه ... كان شبح القصر يبدو على بُعْدِ نحو مائة متر، وكان ضوء سيارة رجال الشرطة يصنع هالةً خفيفةً من الضوء ... وكان واضحًا أنهم يقفون أمام القصر ... وسيارة الرجلين تقف خلفه، ولهذا لم يتمكن رجال الشرطة من رؤية السيارة.

لم يعرف المغامران أين هما من منطقة حلوان، فهي منطقة مجهولة منهما، خاصة في الظلام ... وانطلقت السيارة مبتعدةً عن القصر ... وسرعان ما كانوا يجتازون التلال البعيدة، ثم ينحرفون يسارًا ويصلون إلى كورنيش حلوان ... رفع الرجل سرعة السيارة تدريجيًّا، وأخذ يتحدث إلى زميله بالإيطالية ... واستطاع «تختخ» و«محب» أن يتبيَّنا كلمة «بيراميدز» تتكرر أكثر من مرة في الحديث ... وفهما أن ثمة موعدًا عند الأهرام ... وفعلًا مرقت السيارة في طريق حلوان الخلفي ... بدلًا من العودة إلى القاهرة عن طريق المعادي، مضت في الاتجاه المعاكس ... اتجاه طريق الصعيد، ثم وصلت إلى كوبري حلوان العالي، واجتازته ... ثم مرت في طريق مزلقان السكة الحديد ... وهكذا أخذت طريقها إلى المنطقة الأثرية ... ولم يكن في الطريق أحد ... فقد أوغل الليل، وأوى الناس إلى منازلهم في هذا الجو البارد المطير.

وصلوا إلى طريق جانبي مُترب، ثم وصلوا إلى طريق واسع يؤدِّي إلى الأهرام، ثم انحرفوا يسارًا، وبدت منطقة الفنادق مُضاءة، وكان رجال الشرطة يقفون في أماكنَ متفرقة أمام الفنادق، ولكنَّ أحدًا منهم لم يفكِّر في إيقاف السيارة، فلم يتصور أحد أنها تُقلُّ مُهرِّبَيْن خطيرَيْن ومُغامِرَيْن صغيرَيْن.

صعدوا مطلع الهرم ... ثم انحرفوا في اتجاه «صحاري سيتي» وساروا فترةً، ثم دخلوا منطقة الشاليهات ... ودار الرجل بالسيارة دورتين ثم أطلق صيحة ابتهاج ... فعلى ضوء السيارة شاهدوا السيارة الأخرى الغريبة الشكل تقف أمام أحد الشاليهات ... وتوقفت السيارة، وقفز الرجلان منها كالمجانين، ثم أسرعا إلى السيارة الأولى ... وكانت فرصة «محب» و«تختخ» فانسلَّا من السيارة بهدوء وأسرعا يجريان في الظلام.

سِمعا من خلفهما صوت صيحات الرجلين ... وأدركا أنهما لن يجرؤا على إطلاق الرصاص وإلَّا لفتا انتباه الحرَّاس في هذه المنطقة، فأخذا يجريان دون توقف حتى أحسَّا بالإعياء، وقال «تختخ» بصوت لاهث: سنتوقف عند الشاليه الأبيض الكبير.

كان هناك شاليه أبيض يقف وحيدًا وسط الرمال، فتوقف بجواره بعكس اتجاه المطر الذي كان لا يزال ينهمر بشدة.

قال «تختخ»: يجب أن نصل إلى أول طريق الهرم، ونُخطر نقطة الشرطة هناك، فليس لهؤلاء الرجال طريق آخر ... ولا بُدَّ أن يعودوا من الطريق نفسه!

محب: هيَّا بنا!

تختخ: إنني أكاد أسقط إعياءً وجوعًا!

محب: وهل هذا وقت التفكير في الطعام؟!

قال «تختخ» ساخطًا: وهل للطعام موعدٌ للتفكير؟! ... إن المعدة تصيح في كل وقت لا تجد فيه ما يملؤها!

لم يرد «محب»، وأمسك «تختخ» من يده، وسحبه في اتجاه الطريق المرصوف، وانطلقا مرة أخرى يجريان ... كأنَّ بينهما وبين الرجال الأربعة سباقًا، الذين لا بُدَّ أنهم الآن على وشك الانطلاق.

جريا نحو كيلومتر ... وفجأة ظهرت سيارات مقبلة، كانت مختفيةً خلف التلال ... ظهرت قادمة في اتجاههما ... وسقط الضوء عليهما، وتوقفت السيارة الأولى أمامهما تمامًا ... ونزل آخر شخصٍ كانا يتصوران أن يأتيَ في هذه اللحظات ... إنه المفتش «سامي».

صاح «تختخ» في فرح: المفتش!

وردَّ المفتش: نعم ... أين أنتما؟

تبادلا التحيات الحارَّة، وأخذ «تختخ» يروي بأنفاس متقطِّعة ما جَرى، وقال المفتش: لقد حضرت بعد مغادرتكم القصر بدقائق، وقد وجدت منديلك، واستطعنا بواسطة أجهزتنا اللاسلكية تتبع مكان السيارة بعد الاتصال بالرقم الذي تركته على المنديل ... إنه تليفون لاسلكي يعمل بموجة خاصة ...

وقبل أن يُكمل المفتش حديثه ظهر من بعيد ضوء سيارة قادمة، وصاح المفتش برجاله مُصدرًا تعليمات مُتعدِّدة … فانطلق الرجال يحملون المدافع الرشاشة على جانبي الطريق، وأطفأت سيارة من سيارات النجدة أنوارها، ووقفت في وسط الطريق تمنع أي عبور.

وظهرت السيارة القادمة … وأخذ «تختخ» يرقبها في اهتمام ثم قال للمفتش: إنها ليست إحدى السيارتين.

تمَّ تفتيش السيارة القادمة بسرعة ثم سُمح لها بالمرور، وقال «تختخ»: أليس من الأفضل أن نذهب إليهم؟

المفتش: بالطبع سوف نذهب … وسنترك سيارة هنا للتفتيش.

وركب «محب» و«تختخ» مع «المفتش»، وتبعتهم سيارتان، بهما عدد من الضبَّاط والجنود المسلَّحين، واتجهوا إلى حيث قادهم «تختخ»، وكان المفتش يُلقي بتعليماته إلى رجاله … فطلب منهم إطفاء أنوار السيارات.

وعندما اقتربت السيارات من «شاليه» المهربين، نزل الرجال مُسرعين، وأحاطوا به من كل الجهات … وكانت السيارتان ما زالتا في مكانيهما … ثم فُتح باب «الشاليه» وظهر في ضوئه أحد الرجال ينظر إلى الخارج … لم يستطع أن يرى شيئًا في الظلام، فأشار بيده، وظهر الرجال الثلاثة … وقفز كل رجلين في سيارة … ولكن قبل أن تتحرك السيارات انطلق بعض رجال الشرطة مُصدرين نداءً: لا يتحرك أحد!

لم يمتثل الرجال للنداء، وانطلقت السيارة الأولى مُسرعةً … ولكن انهالت طلقات رجال الشرطة على عجلاتها، فدارت حول نفسها ووقفت … وأُضيئت أنوار سيارات رجال الشرطة فأحالت المكان إلى شبه مسرح، ونزل الرجال الأربعة وهم يرفعون أيديَهم خلف أعناقهم.

تقدَّم المفتش ورجاله، وصاح أحد المهربين بالإنجليزية: إننا لم نفعل شيئًا!

قال المفتش: سوف نرى!

كان ذهن «تختخ» يعمل سريعًا في الإجابة التي بدأ بها اللغز … ما قيمة هذه السيارة إذا لم يكن بها هورايين؟! وقفزت إلى ذهنه إجابة لمعت كالبرق … لا بُدَّ أن السيارة نفسها بها شيء هام … شيء حاول المهربون إخفاءه بقطع الغيار الإضافية … الرفارف والإكصدام … واتجه «تختخ» إلى السيارة العجيبة الشكل … وأضاء مصباحه الصغير وانحنى معه المفتش «سامي» و«محب»، وطلب «تختخ» مِفكًّا أو سكينًا … وقدَّم له أحد الرجال السُّونكي

الذي يُشبه سكينًا قويَّة ... وأمسك «تختخ» بالسُّونكي، ثم ضرب به رفرف السيارة الأصلي ضربةً قوية وعلى الفور عرف الجميع السر الخفيَّ للسيارة «الفورد» ... فقد لمح تحت الطلاء الكثيف لون الذهب.

وصاح «تختخ» فرحًا: إن رفارف السيارة وبعض أجزائها الثقيلة مصنوعة من الذهب الخالص ... وهذا هو سر المهرب الكبير «تريجنزا» ... لقد أوهم الناس أنه يُهرِّب الهورايين في السيارة، ولكن السيارة لم يكن بها أي هورايين لقد كان يُهرِّب الذهب ... سيارة كاملة من الذهب!

قال المفتش: إنك ولد ممتاز ... وهذا يفسِّر لماذا يحاول ورثة «تريجنزا» الحصول على السيارة بأي ثمن ... لقد كشفوا في مذكراته سر السيارة القديمة وحاولوا استعادتها.

تختخ: وجاء هؤلاء الرجال وأخفَوْها تحت ستار من قطع الغيار الإضافية حتى لا يتعرَّف عليها أحد ... ولعلهم أوهموا حارس القصر أنهم جاءوا للزيارة، وأعطَوْه بعضَ النقود ليخلوَ لهم الجو.

المفتش: إنها تساوي بضعة ملايين من الجنيهات ... وإنكم أيها المغامرون الخمسة لتساوون أكثر من ذلك بكثير.


هنـــداوي